

انتروبولوجيا الجرح الحسيني: رمزية الألم في المجتمعات المقاومة Anthropology of the Husseini Wound: The Symbolism of Pain in Resistant Societies

د. رانية حلاق* (Dr. Rania Hallak)

تعد صياغة الجراح والآلام ضمن أنساق رمزية عميقة تمنحها معنى ورسالة. تُعاش الجراح ضمن منظومة رمزية تستند الى حادثة كربلاء، إذ يصبح كل جرح معاصر في سبيل الحق امتدادًا لجرح الحسين (ع) وأصحابه، فيتجاوز الجرح الجسدي حدوده الفيزيائية ليصبح علامة ثقافية مقدسة يتقاطع فيها السياسي والديني والوجداني. فالجرحي، وخصوصًا الذين أصابتهم نيران العدو، يستعدون في المخيال الجماعي كـ «عباسيين وحسينيين جدد»، تُنقش أسماؤهم ضمن سردية كربلاء المستمرة، وكأنّ التاريخ لم يُطو بعد، بل ما زال حيًّا ينزف، يتكلم، ويطلب بالعدالة والحرية والإصلاح. لقد تحوّلت هذه الجراح الى ما يشبه «الذاكرة الحية»، تُستدعى لا لمجرد التذكّر، بل للتجسيد، للعيش، والتحرر.

أتكلّم عن الكيفية التي يُعيد بها المجتمع المقاوم في لبنان إنتاج الألم والمعاناة ضمن إطار الشّعائر العاشورائية، حيث يتحول مجلس العزاء الى فضاء لإعادة دمج الجرحي، ويُستدعى الحسين والعباس وزينب كنماذج يتأسى ويأنس بها الجرحي وعوائلهم في مواجهة ندوبهم الجسدية والنفسية، فتصبح الشّعائر وسائط لإعادة تأهيل المعنى والكرامة، ويصبح الجرح «وسامًا حسيّنًا» يربط الجسد المعاصر بجسد الشّهادة في كربلاء. هذه القراءة الانتروبولوجية، لا تُعنى بالمقدس بوصفه غيبّيًا، بل بما تنتجه الشّعيرة من هويّة، وموقع اجتماعي ومعنى سياسي-روحي، فيُعرّف الجسد المجروح كجسد مقاوم لا معاق. إنّها محاولة لفهم كيفية صياغة المعاناة كقوة، وكيفية استثمار الجرح كرمز، وكيفية احتضان الذاكرة الجماعية أبناءها الجرحي في حضن الحسين (ع).

أسعى لفهم المعنى الكامن في الشّعائر والزّموز، والسلوكيات العاشورائية التي تتيح لنا الإنصات الى هذا الجرح، كبنية ثقافية تُمارس وتُطبق في التماسك الجماعي،

* أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية في معهد العلوم الاجتماعية.

وفي مقاومة نسيان الظلم وفي مواجهة محتواها، تناولت هذا الموضوع لنتذكر
قوى التسلط. أن المعاناة حين تُصاغ في قالب جماعي،
في زمن يُراد فيه تفريغ الرّموز من تتحول الى طاقة... لا تنكسر.